

أسلوب المقابلة
وأثره في الموازنة
بين الأقوال التفسيرية



□ د. محمد عبد الرحمن محمد عودات (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

يتناول البحث ظاهرة أسلوبية يزخر بها القرآن الكريم، وهو أسلوب المقابلة الذي يمتاز بقيمة الفكرية، وأطره الجمالية، فكان أسلوب المقابلة من وسائل البرهنة والاستدلال في القضايا العقدية والعملية، مثل إثبات الوجدانية، والبعث الآخر، وإثبات الرسالة المحمدية، وكمال التباين بين المهتدين والضالين.

إن أسلوب المقابلة له وقعه المؤثر على النفس الإنسانية على الرغم من اختلاف ألوانها ومشاربها، فأسلوب المقابلة الذي يقوم في غالب أنواعه وصوره على التقابل بين المتضادات، ينشط الفاعلية الإدراكية، ويؤدي إلى تداعي المعاني المعاكسة، كما إنه يوسع ملكة التصور والاستنتاج.

يسير البحث وفق خط منهجي يقوم على عرض الأقوال التفسيرية، والمنازع التأويلية للآيات القرآنية الكريمة معتمدا على تفعيل قاعدة من قواعد التفسير، وهي قاعدة تتصل بأسلوب المقابلة، ودوره البارز في الموازنة بين الأقوال التفسيرية، فيقدم أسلوب المقابلة الأقوال المؤيدة بالنظم القرآني، ويؤخر الأقوال الأخرى التي تشوش النظم القرآني الرائق، جاء هذا البحث ليكشف عن أهمية أسلوب التقابل في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، كما سيظهر في النماذج التطبيقية إن شاء الله تعالى.

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء.

The style of comparison and its affect in regulating the interpretation's opinions

Abstract: this research studies a kind of Quranic style, which is the comparison style with its intellectual and its beautiful values, which it was for a long time one of the proof and reference tactic in ideological and applied issues like proving oneness, resurrection and proving the message of Mohammad –peace be upon him- and the perfect contrast among converts and strays.

The style of comparison which is based on contrasting antonyms has its affect on human's soul, so it is not only activate the cognitive effectiveness and leads to think in the opposite meanings but also it enlarge imagination and conclusion talent.

This research studies systematically the interpretation's opinions and the problematic explanation for the holly Quranic verses, depending on activating the contrasting rules and its pioneer turn in regulating between interpretation opinions, preceding the opinions that is supported by contrasting technique, and delaying opinions that doesn't concert with contrasting style- which is an issue that is forgotten by so many scholars and praised by others

So the research does not confined on theoretical searching but on applied dimension, so the analytic models have proved that contrasting style does not interest in revealing and illustrating the Quranic meaning, but also in regulating the interpretation opinions.

Also the research is clarifying the turn of contrasting style in achieving the textual cohering which considered as the main column in composing theory, so this research conducted to show the contrasting style's turn in overbalancing between interpretation's opinions

* * *

قائمة المحتويات

الصفحة	العنوان
١٢٥	الملخص
١٢٧	قائمة المحتويات
١٢٨	المقدمة
١٣٣	المبحث الأول: المقابلة تعريفها ومكانتها وأنواعها
١٣٣	المطلب الأول: تعريف المقابلة لغة واصطلاحاً
١٣٥	المطلب الثاني: مكانة المقابلة في ضوء القرآن الكريم
١٣٧	المطلب الثالث: أنواع المقابلة في ضوء القرآن الكريم
١٤١	المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لتحكيم أسلوب المقابلة في التفسير
١٤١	المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بضده لفظاً ومعنى
١٤١	النموذج الأول: المقابلة بين المؤمنين والكافرين
١٤٤	النموذج الثاني: المقابلة بين السماء والأرض
١٤٨	النموذج الثالث: المقابلة بين الغنى والفقر
١٥٠	النموذج الرابع: المقابلة بين القانع والمتعرض للسؤال
١٥١	النموذج الخامس: المقابلة بين الأمة المؤمنة والحرّة المشركة
١٥٣	النموذج السادس: المقابلة بين الفلق والغسق
١٥٥	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة
١٥٥	النموذج الأول: المقابلة بين الكبائر والصغائر
١٥٦	النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وكسب القلوب
١٥٩	المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يماثله
١٥٩	النموذج الأول: المقابلة بين السيد والنبي وبين الحضور
١٦١	النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وبين الإثم والكذب
١٦٤	الخاتمة
١٦٦	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

الحمد لله الذي نصب للحق دليلاً، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، رسولنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة، وبعد

فإن أسلوب المقابلة يعد ظاهرة أسلوبية قرآنية، استعملها القرآن الكريم بشكل بارز جداً، لتأدية قيم عقدية، ومضامين فكرية، وأسرار جمالية، فكان أسلوب المقابلة من الوسائل البلاغية التي سلكها القرآن الكريم في البرهنة والاستدلال على القضايا العقدية والعملية الكبرى مثل إثبات الوجودانية، والبعث الآخر، وإثبات الرسالة المحمدية، وكمال التباين بين المهتدين والضالين.

إن أسلوب المقابلة له وقعه المؤثر على النفس الإنسانية على الرغم من اختلاف ألوانها ومشاربها، فأسلوب المقابلة الذي يقوم في غالب أنواعه وصوره على التقابل بين المتضادات، ينشط الفاعلية الإدراكية، ويؤدي إلى تداعي المعاني المعاكسة، كما إنه يوسع ملكة التصور والاستنتاج بتحقيقه التوازن والتكامل بين إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ {١٩} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ {٢٠} وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ {٢١} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ {٢٢} ﴿^(١)﴾، كيف ترسخ هذه الصور المتقابلة الحقيقة العقدية، تقدم هذه الآيات الكريمات عرضاً لمجموعة من الأشياء المتضادة بأسلوب المقابلة، وترمي للوصول إلى الحقيقة الدينية الكبرى المتمثلة في أن الحق والباطل لا يستويان أبداً، كما لا يستوي الأعْمى والبصير أبداً، وكما لا تستوي الظلمات والنور أبداً، وكما لا يستوي الظل والحُرور أبداً، وكما أن الأحياء والأموات لا يستويان أبداً، إن هذا الحشد القرآني عبر أسلوب المقابلة بين هذه

(١) سورة فاطر، الآية: ١٩ - ٢٢.

المتضادات يثير العقل البشري لإقامة الموازنة بين الأشياء المتفاوتة. فقد جمع النظم الجليل بين الأعمى ويقصد به (الكافر)، ومن أبعاده الجهل، والضلالة، وعدم الرؤية، وبين البصير، ويقصد به (المؤمن) ويعني به العلم، والهدى، ووضوح الرؤية، وجمع أيضا بين الظلمات ويقصد بها الضلال، وبين النور ويقصد به الهداية، وبين الظل والمراد به نعيم الجنة، وبين الحرور، والمراد به عذاب النار، وبين الأحياء، والأموات، وهما المؤمنون، والكافرون، وأن لكل ضد من هذه الأضداد التي تتطابق مع بعضها البعض معاني عميقة، ودقيقة ومتشعبة^(١)، فأشارت الآيات إلى رأس الأمر وهو الإيمان وضده الكفر، وإلى المؤمنين والكافرين، وإلى مصير كل من الفريقين، ونتيجة سعيهما وهو الجنة والنار.

قال الألوسي: "وما ألفت نظم هذه التمثيلات، فقد شبه المؤمن والكاسفر أولاً بالبحرين، وفضل البحر الأجاج على الكافر لخلوه من النفع، ثم بالأعمى والبصير، مستتبعا بالظلمات والنور، والظل والحرور، فلم يكتف بفقدان نور البصر حتى ضم إليه فقدان ما يمدده من النور الخارجي، وقرن إليه نتيجة ذلك العمى والفقدان، فكان فيه ترق من التشبيه الأول إليه، ثم بالأحياء والأموات ترقياً ثانياً، وأردف قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٢).

وقال ابن عاشور: "أربعة أمثال للمؤمنين والكافرين، ولالإيمان والكفر، شبه الكافر بالأعمى، والكفر بالظلمات، والحرور والكافر بالميّت، وشبه المؤمن بالبصير وشبه الإيمان بالنور والظل، وشبه المؤمن بالحي تشبيه المعقول بالحواس، فبعد أن بيّن قلة نفع

(١) خليفة، د أحمد عبد المجيد محمد، بين المقابلة والطباق في الآيات القرآنية، الشبكة العنكبوتية.

<http://motarjemarabi.blogfa.com/post/520>

(٢) الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن شكري البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٢٢، ص ١٨٦.

الندارة للكافرين، وأما لا يتنفع بها غير المؤمنين ضرب للفريقين أمثالا كاشفة عن اختلاف حالهما، وروعي في هذه الأشباه توزيعها على صفة الكافر والمؤمن، وعلى حالة الكفر والإيمان، وعلى أثر الإيمان وأثر الكفر، وقدم تشبيه حال الكافر وكفره على تشبيه حال المؤمن وإيمانه ابتداء لأن الغرض الأهم من هذا التشبيه هو تفضيع حال الكافر ثم الانتقال إلى حسن حال ضده^(١).

فإذا كان التركيب موجودا داخل النص، فإن الدلالة توجد داخل السياق، وأسلوب المقابلة لشيوعه جدا في كتاب الله الكريم يمثل حكما عدلا للموازنة بين الأقوال التفسيرية، فمثلا:

كلمة النجم الواردة في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ {٦} وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ {٧} أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ {٨} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ {٩} وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ {١٠} فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالَّتِخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {١١} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ {١٢} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {١٣}﴾^(٢)، يراد بها النبات الذي لا ساق له بدلالة اقترانه بالشجر الذي هو النبات الذي له ساق أولا، وثانيا لمقابلته للشمس والقمر في الآية السابقة، هذه المقابلة التي تعد من مقابلة الأضداد، فنعم الله تعالى على الإنسان تمتد من النجوم السماوية (الشمس والقمر) إلى النجم الأرضي، والذي هو النبات الذي لا ساق له، وهذا من ألطف المقابلات في القرآن الكريم، لأنه يسري من التقابل الجزئي بين النجم السماوي، والنجم الأرضي، إلى التقابل الكلي بين السماء، والأرض، باعتبارهما محلا للنجوم السماوية والأرضية، ينبئ عن هذا السر التصريح بعد

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٢٢، ص: ٢٩٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٥ - ١٣.

ذلك برفع السماء أولاً، ووضع الأرض للأنام ثانياً، وهذا هو مسلك جمهور المفسرين في المراد من كلمة النجم في سورة الرحمن كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

وقد أثرت أن يكون بحثي هذا في تجلية مكانة أسلوب المقابلة الذي يعد من المحسنات البديعية، والفنون البلاغية، والظواهر الأسلوبية ودوره في الكشف عن المعيار الدقيق في الموازنة بين الأقوال التفسيرية في ضوء القرآن الكريم، ولما كان أسلوب التقابل من روافد إعجاز القرآن الكريم قال الإمام الزركشي رحمه الله: "واعلم أن في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل وهو يتصل غالباً بالفواصل"^(١).

ومما أثار داعيتي للمضي في إنجاز هذا البحث أنه وبحسب اطلاع الباحث لم يفسرد بدراسة تطبيقية مستقلة تشفع النظرية بالتطبيق، ونبين دور أسلوب المقابلة في تقديم الأقوال الراجعة، وتأخير الأقوال المرجوحة عن ساحة تفسير القرآن الجليل.

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وغايته وخطته

المبحث الأول: المقابلة تعريفها ومكانتها وأنواعها

المطلب الأول: تعريف المقابلة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: مكانة المقابلة في ضوء القرآن الكريم

المطلب الثالث: أنواع المقابلة في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لتحكيم أسلوب المقابلة في التفسير

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بضده لفظاً ومعنى

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٣، ص: ٤٦٢.

- النموذج الأول: المقابلة بين المؤمنين والكافرين
- النموذج الثاني: المقابلة بين السماء والأرض
- النموذج الثالث: المقابلة بين الغنى والفقر
- النموذج الرابع: المقابلة بين القانع والمتعرض للسؤال
- النموذج الخامس: المقابلة بين الأمة المؤمنة والحرّة المشتركة
- النموذج السادس: المقابلة بين الفلق والغسق
- المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة
- النموذج الأول: المقابلة بين الكبائر والصغائر
- النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وكسب القلوب
- المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يماثله
- النموذج الأول: المقابلة بين السيد والنبي وبين الحضور
- النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وبين الإثم والكذب
- وضمنت الخاتمة أهم نتائج البحث، ثم أتبعها بقائمة المصادر والمراجع.

* * *

المبحث الأول

المقابلة تعريفها ومكانتها وأنواعها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقابلة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: مكانة المقابلة في ضوء القرآن الكريم

المطلب الثالث: أنواع المقابلة في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف المقابلة لغة واصطلاحاً

أولاً: المقابلة لغة

المقابلة والتقابل في اللغة من (قابل الشيء بالشيء مقابلة: إذا عارضه) فإذا ضمنت شيئاً إلى شيء قلت: قابلته به، ففي لسان العرب: "ورجل مُقَابِلٌ مُدَابِرٌ: محض من أَبَوَيْهِ وقيل: رجل مُقَابِلٌ ومُدَابِرٌ إذا كان كريم الطرفين من قِبَلِ أبيه وأُمِّه، وناقَة مُقَابِلَة، ومُدَابِرَة فهي التي تُقَرَضُ أذنها من قِبَلِ وجهها، والمُدَابِرَة التي تُقَرَضُ أذنها من قِبَلِ قَفَافِهَا"^(١)، وقال الراغب: "والمقابلة، والتقابل، أن يقبل بعضهم على بعض إما بالذات، وإما بالعتاة، والتوفر، والمودة، قال تعالى: ﴿مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾"^(٢)، وفي المعجم الوسيط: "وفي علم البديع أن يؤتى بمعينين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كما في التنزيل العزيز: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءَ بِمَا

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم المصري الأفيقي، لسان العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر المعزية، ط ١٣٠٣هـ، فصل القاف حرف اللام باب (قبل)، ج: ١١، ص: ٢٠.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٦.

(٣) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، مادة (قبل)، ج: ١، ص ٥٠٨.

كَأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ (٢).

والمتحصل من التعريف اللغوي للمقابلة أو التقابل أنه أسلوب بلاغي ومحسن بديعي يعتمد على إقامة اقتران المثل بالمثل، أو الضد بالضد، أو المغاير بالمغاير بلا تماثل أو تضاد.

ثانياً: المقابلة اصطلاحاً

عد الإمام الزركشي المقابلة فناً مستقلاً بذاته، وقد عرفها بقوله: "ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب المفاعلة كالمقابلة، والمضاربة، وهي قريبة من الطباق، والفرق بينهما من وجهين: الأول: أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالباً، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالباً. والثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغيرها، ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة" (٣).

وقد عرفها ابن رشيقي القيرواني فقال: "المقابلة أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرًا، ويؤتى في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة" (٤).

والحاصل من التعريفين السابقين لها أن المقابلة: هي أن يأتي المتكلم في كلامه بمعنيين

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٢) الجمع اللغوي، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات إحياء التراث، مكتب الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، مادة (قبل)، ج: ١، ص ٧١٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ج: ٣، ص: ٤٥٨.

(٤) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيقي الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه، وفصله، وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ج: ٢، ص ١٥.

متوافقين، أو أكثر ليس بينهما تضاد، ثم يأتي بما يقابل ذلك وفق الترتيب على شاكلة قوله تعالى: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية معنيين: (يضحكوا) و(قليلًا) وهما معنيان متغايران، أي: ليس بينهما تماثل، أو تضاد، ثم ذكر جل شأنه بعد ذلك بما يقابلهما على الترتيب بقوله: (وليبكوا) و(كثيرًا).

المطلب الثاني: مكانة المقابلة في ضوء القرآن الكريم

يتبوأ أسلوب المقابلة مكانة جليلة بين أساليب القرآن الكريم البلاغية، وذلك لأن له رسالة بيانية رفيعة المقدار، إنه أسلوب يقوم في غالب أنواعه وصوره على التقابل بين المتضادات، ولذلك فهو ينشط الفاعلية الإدراكية، ويؤدي إلى تداعي المعاني المعاكسة، كما إنه يوسع ملكة التصور والاستنتاج، لتلك الأسرار البيانية أكثر النظم الجليل من هذا الأسلوب العبقري حتى باتت كثرته في القرآن الكريم تعد ظاهرة أسلوبية واضحة، ففي القرآن الكريم علاقات اقترانية تقابلية بين شبكة من كلمات قرآنية، مثل: الجنة والنار، والنعيم والعذاب، والوعد والوعيد، والمؤمنين والكافرين، والأبرار والفجار، والجائز والمقتصد، والبشارة والندارة، والرغبة والرغبة، والطيب والخبيث، والنفع والضر.

يرى أئمة علوم القرآن أن براعة أسلوب المقابلة لا تكمن في إيراد لفظين متقابلين في المعنى فحسب، فإن هذا الصنيع لا طائل من ورائه، وهو من أسهل الأشياء، بل قد يؤدي ذلك إلى الوقوع في شرك التكلف والتصنع من جهة، وفساد المعنى من جهة أخرى، وإنما تبرز بلاغة أسلوب المقابلة وبراعته في بعده من التكلف، واتساقه مع المعنى، ويترشح أسلوب المقابلة لإبراز البهجة والرونق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى {١١٨} وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {١١٩} ﴿١﴾:

"فائدة: قد يجيء نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر، وإذا توكلت كان من أكمل المقابلات، ولذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى {١١٨} وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {١١٩}﴾ ﴿٢﴾ فقابل الجوع بالعري، والظمأ بالضحي، والواقف مع الظاهر ربما يحيل أن الجوع يقابل بالظمأ، والعري بالضحي، والمدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة، لأن الجوع ألم الباطن، والضحي موجب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية جميع نفى الآفات ظاهراً وباطناً، وقابل الخلو بالخلو، والاحتراق بالاحتراق" ﴿٣﴾.

قال ابن عاشور موضحاً لكلام الزركشي: "وقد قُرن بين انتفاء الجوع واللباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ ﴿٣﴾، وقرن بين انتفاء الظمأ وألم الجسم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ ﴿٤﴾، لمناسبة بين الجوع والعري، في أن الجوع خلوّ باطن الجسم عما يقيه تألمه، وذلك هو الطعام، وأن العري خلوّ ظاهر الجسم عما يقيه تألمه، وهو لفح الحر، وقرص البرد؛ ومناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس، في أن الأول ألم حرارة الباطن، والثاني ألم حرارة الظاهر. فهذا اقتضى عدم اقتران ذكر الظمأ والجوع، وعدم اقتران ذكر العري بألم الحر، وإن كان مقتضى الظاهر جمع النظيرين في كليهما، إذ جَمَعَ النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام بحسب الظاهر لولا أن عرض هنا ما أوجب تفريق النظائر" ﴿٥﴾، فقد اجتمع في هاتين الآيتين المطابقة الحقيقية للحال، مع جريان النظم فيهما على خلاف مقتضى

(١) سورة طه، الآية: ١١٨ - ١١٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج: ٣، ص: ٤٦٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٩.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٦، ص: ٣٢٢ - ٣٢٣.

الظاهر، بهذه الدقة التي لا تدرك للطافة منزعها التي لا تليق بغير قدرة الله جل شأنه.

المطلب الثالث: أنواع المقابلة في ضوء القرآن الكريم

هناك اعتباران على أساسهما يقسم أسلوب المقابلة:

الاعتبار الأول: من جهة الموضوع

وأقسام المقابلة بحسب الموضوع ثلاثة:

الأول: باعتبار المضادة، وفيها يقابل الشيء بضده لفظاً ومعنى، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، فقد أتى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بمعنيين هما مثل للمؤمن والكافر: (عَذْبٌ) و (فُرَاتٌ) وهما معنيان متماثلان على طرز الترقي كقولهم: أسود حالك، ثم ذكر جل شأنه بعد ذلك بما يقابلهما مضادة على الترتيب، بقوله: (مِلْحٌ) و (أُجَاجٌ)، فإذا كان الماء الفرات هو شديد الحلاوة، فإن الماء الأجاج هو شديد الملوحة.^(٢)

الثاني: باعتبار المغايرة، وفيها يقابل الشيء بما يخالفه من غير مضادة ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٣) فقد أتى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بمعنيين: (الشر)، ثم ذكر جل شأنه بعد ذلك بما يقابله مغايرة لا مضادة بكلمة: (الرشد)، والشر والرشد لفظان متغايران، وذلك لأن ضد الرشد الغي، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمن نظير الرشد قطعاً، والغني الذي يخرج لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً، حصل من هذا الشكل

(١) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(٢) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: ٢٢، ص ١٨٦. بتصرف

(٣) سورة الجن، الآية: ١٠.

أربعة ألفاظ^(١)، اثنان منطوقان وهما الشر والرشد، واثنان مضميران وهما الخير والغي، وهذا هو الاحتباك البلاغي.

الثالث: باعتبار الماثلة، وفيها يقابل الشيء بما يماثله ومثاله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢)، فقد أتى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بمعنيين: (السنة)، ثم ذكر جل شأنه بعد ذلك بما يقابله تماثلاً، من باب مقابلة النظير بالنظير، بكلمة: (النوم)، والسنة والنوم جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقظة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَّاقًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٣) وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً، ثم السنة والنوم بانفرادهما متقابلان في باب النظيرين، ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة^(٤).

الاعتبار الثاني: من جهة العدد

وأقسام المقابلة بحسب العدد ستة:

الأول: المقابلة الأحادية وفيها يقابل المفرد بالمفرد، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٥)، فقابلت الآية بين الفعلين المضارعين (تَبْيَضُّ) و(تَسْوَدُّ).

الثاني: المقابلة الثنائية وفيها يقابل اثنين باثنين، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا

(١) البرهان في علوم القرآن، ج: ٣، ص: ٤٥٩. بتصرف

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ج: ٣، ص: ٤٥٩. بتصرف.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

قَلِيلًا وَلَيُكُونُ كَثِيرًا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية معنيين: (يضحكوا) و(قليلا) وهما معنيان متغايران، أي: ليس بينهما تماثل، أو تضاد، ثم ذكر جل شأنه بعد ذلك بما يقابلهما على الترتيب بقوله: (وليكوا) و(كثيرا).

الثالث: المقابلة الثلاثية وفيها يقابل ثلاثة بثلاثة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ {٤٣} ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ {٤٤} ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ {٤٥}^(٢) فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ثلاثة معان متقابلة تضادا: (أضحك) و(أبكى)، و(أمات)، و(أحيا)، و(الذكر)، و(الأنثى).

الرابع: المقابلة الرباعية وفيها يقابل أربعة بأربعة، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ {٥} ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ {٦} ﴿فَسُنِّيْهِ لِلْإِسْرَى﴾ {٧} ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ {٨} ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ {٩} ﴿فَسُنِّيْهِ لِلْعُسْرَى﴾ {١٠}^(٣)، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أربعة معان متقابلة تضادا وهي: (أعطى) و(اتقى)، و(صدق)، و(اليسرى)، و(بخل)، و(استغنى)، و(كذب) و(العسرى).

الخامس: المقابلة الخماسية وفيها يقابل خمسة بخمسة، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ {٢٦} ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الليل، الآية: ٥ - ١٠.

الْخَاسِرُونَ {٢٧} ﴿١﴾، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين خمسة معانٍ متقابلة تضادا وهي: (الحقير) و(الكبير) ^(٢)، و(الَّذِينَ آمَنُوا)، و(الَّذِينَ كَفَرُوا)، و(يُضِلُّ)، و(يَهْدِي)، و(يَنْقُضُونَ) و(مِيثَاقَهُ). و(يَقْطَعُونَ) و(يُوصِلُ).

السادس: المقابلة السادسة وفيها يقابل ستة ب ستة، ومثاله قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ {١٤} قُلْ أُوْثِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ {١٥}﴾ ^(٣)، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين ستة معانٍ متقابلة وهي: (النِّسَاءِ) و(الْبَنِينَ)، و(الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)، و(الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ)، و(الْأَنْعَامِ)، و(الْحَرْثِ)، و(الْجَنَّاتِ) و(الْأَنْهَارُ)، و(الْأَزْوَاجُ)، و(التطهير)، و(الْرِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ) ^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦ - ٢٧.

(٢) وهو من المقابلة الخفية؛ لأن قوله تعالى: (فَمَا فَوْقَهَا) يشير إلى ذلك.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦ - ٢٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ج: ٣، ص: ٤٦٤ - ٤٦٥. بتصرف

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية

لتحكييم أسلوب المقابلة في التفسير

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بضده لفظاً ومعنى

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يماثله

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بضده لفظاً ومعنى

وفيه نماذج:

النموذج الأول: المقابلة بين المؤمنين والكافرين

النموذج الثاني: المقابلة بين السماء والأرض

النموذج الثالث: المقابلة بين الغنى والفقر

النموذج الرابع: المقابلة بين القانع والمتعرض للسؤال

النموذج الخامس: المقابلة بين الأمة المؤمنة والحرمة المشتركة

النموذج السادس: المقابلة بين الفلق والغسق

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بضده لفظاً ومعنى

النموذج الأول: المقابلة بين المؤمنين والكافرين

من عادات القرآن الكريم ومطرداته أنه لا يذكر المؤمنين إلا أعقبه بذكر الكافرين، ومن أوائل هذه الشواهد القرآنية ما ذكره الله تعالى في بداية سورة البقرة من تقسيم الخلق حيال القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام، يقول ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١): "وقد قرنت

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

الآيات فريقين فريقاً أضمر الكفر وأعلنه وهم من المشركين، كما هو غالب اصطلاح القرآن في لفظ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفريقاً أظهر الإيمان وهو مخادع، وهم المنافقون المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَايَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وإنما قطعت هاته الجملة عن التي قبلها لأن بينهما كمال الانقطاع، إذ الجمل السابقة لذكر الهدى والمهتدين، وهذه لذكر الضالين فبينهما الانقطاع لأجل التضاد، ويعلم أن هؤلاء قسم مضاد للقسمين المذكورين قبله من سياق المقابلة^(٢).

ومن الشواهد القرآنية التي يتعين حملها على المؤمن والكافر تحديدا ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾^(٣): "والحرث في هذه الآية تمثيل للإقبال على كسب ما يُعده الكاسب نفعاً له يرجو منه فائدة وافرة، بإقبال الفلاح على شق الأرض وزرعها ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث، وإضافة ﴿حَرْثٍ﴾ إلى ﴿الْآخِرَةِ﴾ وإلى ﴿الدُّنْيَا﴾ على معنى اللام كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(٤) وهي لام الاختصاص، وهو في مثل هذا اختصاص المعلل بعلة، وما لام التعليل إلا من تصاريف لام الاختصاص، ومعنى ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ يبتغي عملاً لأجل الآخرة، وذلك المريد: هو المؤمن بالآخرة لأن المؤمن بالآخرة لا يخلو عن أن يريد الآخرة ببعض

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) التحرير والتنوير، ج: ١، ص ٢٤٧. انظر التحرير والتنوير، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٩٢، ج: ٤، ص ٥٠. وعند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ سورة الانشقاق، الآية: ١٠، ج: ٣٠، ص ٢٢٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

أعماله كثيراً كان أو قليلاً، والذي يريد حرث الدنيا مراد به: من لا يسعى إلا لعمل الدنيا بقرينة المقابلة بمن يريد حرث الآخرة، فتعيّن أن يريد حرث الدنيا في هذه الآية: هو الذي لا يؤمن بالآخرة، ونظيرها في هذا قوله تعالى في سورة هود: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ﴾ {١٥} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {١٦} ^(١)، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ وقوله في سورة الإسراء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ {١٨} وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ {١٩} ^(٢) ^(٣).

والذي يراه الباحث أن ما قرره ابن عاشور من وجوب التعيين بحمل الآية على المؤمن والكافر هو الوجه الذي لا يجوز غيره، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن هذا الحمل هو المتفق مع عادة القرآن الكريم من إجراء التقابل بين الأضداد، وهنا التقابل بين المؤمن والكافر.

الثاني: أن هذا التفسير جار وفق آيات عديدة، مثل آيتي سورة هود والأسراء التي ساقهما ابن عاشور.

الثالث: أن هذا القول متفق مع سياق الآية نفسها حيث قطعت الآية بعدم وجود نصيب لمريد الدنيا في الآخرة، ومن قواطع دين الإسلام أن الكافر هو الذي ليس له في الآخرة إلا النار.

ومما يجري هذا المجرى من وجوب حمل التركيب القرآني على وجه متعين ما ذكره

(١) سورة هود، الآية: ١٥ - ١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٨ - ١٩.

(٣) التحرير والتنوير، ج: ٢٥، ص ٧٤.

جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١)، وجملة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ والمعنى: أن كثيراً منهم تجاوزوا ذلك الحد من قسوة القلوب فنبذوا دينهم، وبدلوا كتابهم وحرفوه، وأفسدوا عقائدهم فبلغوا حد الكفر، فالفسق هنا مراد به الكفر، والخروج عن حد كتابيهما بالكلية، والقول بهذا التعيين جارٍ لقريئة أسلوب التقابل بين المؤمن والكافر^(٢).

النموذج الثاني: المقابلة بين السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ {٦} وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ {٧} أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ {٨} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ {٩} وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ {١٠} فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {١١} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ {١٢} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {١٣}﴾^(٣)، ذكر المفسرون لكلمة النجم الواردة في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٤) معنيين:

الأول: النجم السماوي.

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ —، ١٩٨١م، ج: ٢٩، ص ٢٣١. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر. ج: ٥، ص ٢٧٧ - ٢٧٨. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٧، ص ٨٧٠ - ٨٧١. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٦٤م، ج: ٢٧، ص ١٧٣.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٥ - ١٣.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦.

الثاني: النبات الذي لا ساق له.

والذي يراه الباحث مراداً من كلمة النجم هو المعنى الثاني، وذلك للأسباب الآتية:
الأول: أن المراد بالنجم في سورة الرحمن هو النبات الذي لا ساق له هو المتبادر اعتماداً على دلالة اقتران النجم بالشجر الذي هو النبات الذي له ساق.

الثاني: أن المراد بالنجم في سورة الرحمن هو النبات الذي لا ساق له هو المتبادر اعتماداً على دلالة التقابل بين (الشمس والقمر) وبين (النجم والشجر)، هذه المقابلة التي تعد من مقابلة الأضداد، فنعم الله تعالى على الإنسان تمتد من النجوم السماوية (الشمس والقمر) إلى النجم الأرضي، والذي هو النبات الذي لا ساق له، وهذا من ألطف المقابلات في القرآن الكريم، لأنه يسري من التقابل الجزئي بين النجم السماوي، والنجم الأرضي، إلى التقابل الكلي بين السماء والأرض، باعتبارهما محلاً للنجوم السماوية والأرضية، ينبئ عن هذا التقابل الكلي التصريح بعد ذلك برفع السماء أولاً، ووضع الأرض للأنام ثانياً، وهذا هو مسلك جمهور المفسرين في المراد من كلمة النجم في سورة الرحمن.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: "اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضع، مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فقال بعضهم: عني بالنجم في هذا الموضع من النبات: ما نجم من الأرض، مما ينبسط عليها، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه، .. وقال آخرون: عني بالنجم في هذا الموضع: نجم السماء، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق، وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره، وأما قوله: (وَالشَّجَرُ) فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل،

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(١)، وقال الإمام الألويسي: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ والمراد بالنجم النبات الذي ينجم أي: يظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له، وبالشجر النبات الذي له ساق، وهو المروى عن ابن عباس، وابن جبير، وأبي رزين؛ والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً، والجمهور على تفسير النجم بما سمعت أولاً قبل لأن اقتترانه بالشجر يدل عليه، وإن كان تقدم ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يتوهم منه أنه بمعناه المعروف ففيه تورية ظاهرة^(٢).

وانطلاقاً مما اختاره جمهور المفسرين فإنني لا أرى حمل النجم على معنييه معا وجيهاً كما ذهب إليه الإمام البقاعي بقوله رحمه الله تعالى: "فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالكواكب للسماء في الزينة، والنفع والضرر، والصغر والكبر، والكثرة والقلة من

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ج: ٢٢، ص ١٧٣ - ١٧٥. انظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق، الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق الحناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ج: ٥، ص ٢٢٤. مفاتيح الغيب، ج: ٢٩، ص ٨٧. ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٦م، ج: ٢، ص ٣٩٢. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د زكريا عبد المجيد المنوفي، د أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ج: ٨، ص ١٨٧. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ١٤٠٩هـ. ج: ٧، ص ٤٤٢. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه، الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج: ٣، ص ٣٤٦.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: ٢٧، ص ١٠٠.

النبات مقدماً صغاره لعموم نفعه، وعظيم وقعه بأن من أكثر الأقوات لجميع الحيوان، والملابس من القطن، والكتان، وغير ذلك من عجيب الشأن، معبراً بما يصلح لبقية الكواكب فقال: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ أي: وجميع الكواكب السماوية وكل نبت ارتفع من الأرض ولا ساق له من النبات الأرضية، التي هي أصل قوام الإنسان، وسائر الحيوان ﴿وَالشَّجَرُ﴾ وكل ما له ساق ويتفكه به أو يقتات^(١).

وقد رجح ابن عاشور عدم حمل المشترك على معنييه، وهو القائل بأن جميع محتملات الآي الكريمة مرادة تكثيراً لمعاني النظم الجليل، قال رحمه الله تعالى: "وهو انتقال من الامتنان بما في السماء من المنافع، إلى الامتنان بما في الأرض، وجعل لفظ ﴿وَالنَّجْمُ﴾ واسطة الانتقال لصلاحيته لأنه يراد منه نجوم السماء، وما يسمى نجماً من نبات الأرض، فالإخبار بسجود النجم والشجر أريد به الإيقاظ إلى ما في هذا من الدلالة على عظيم القدرة دلالة رمزية، ولأنه لما اقتضى المقام جمع النظائر من المزاوجات بعد ذكر الشمس والقمر، و﴿النَّجْمُ﴾ يطلق: اسم جمع على نجوم السماء قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢)، ويطلق مفرداً فيجمع على نجوم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِذْ بَارَ النَّجُومُ﴾^(٣) وعن مجاهد تفسيره هنا بنجوم السماء، ويطلق النجم على النبات والحشيش الذي لا ساق له فهو متصل بالتراب، وعن ابن عباس تفسير النجم في هذه الآية بالنبات الذي لا ساق له، والشجر: النبات الذي له ساق وارتفاع عن وجه الأرض، وهذان ينتفع بهما الإنسان والحيوان، فحصل من قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ بعد قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ قرينتان

(١) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ١٩، ص ١٤٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ١.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٩.

متوازنان في الحركة والسكون وهذا من المحسنات البديعية الكاملة^(١).

النموذج الثالث: المقابلة بين الغنى والفقر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى {٤٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا {٤٤} وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {٤٥} مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى {٤٦} وَأَنَّهُ عَلِيهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى {٤٧} وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى {٤٨}﴾^(٢)، ذكر المفسرون لكلمة (أَقْنَى) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾^(٣) أقوالاً ترجع إلى معنيين متقابلين^(٤):

الأول: القنية، وهي زيادة على الغنى، وتختص القنية بأصول المال الزائدة على الكفاية، فهي ما يبقى ويدوم من الأموال بقاء نفسه، أو أصله كالرياض، والحيوان والبناء، وإفراد ذلك بالذكر؛ لأن القنية أنفس الأموال وأشرفها، فالآية الكريمة جارية على أسلوب الترقى من الغنى إلى الاقتناء.

الثاني: الفقر، وهي إزالة القنية التي تختص بأصول المال الزائدة على الكفاية، فالهمزة للسلب كما في (أشكى)، والآية الكريمة جارية على أسلوب التقابل بين الغنى والفقر، مراعاة للمزاوجات بين الأضداد السابقة، (أَضْحَكَ) و(أَبْكَى)، و(أَمَاتَ)، و(وَأَحْيَا)، و(الذَّكَرَ)، و(الْأُنثَى).

والذي يراه الباحث مقصوداً من كلمة (أَقْنَى) هو المعنى الثاني، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن المراد من كلمة (أَقْنَى) في سورة النجم هو معنى أفقر، هذا هو المتبادر

(١) التحرير والتنوير، ج: ٢٧، ص ٢٣٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٣ - ٤٨.

(٣) سورة النجم، الآية: ٤٨.

(٤) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٥، ص ٤٠٥.

اعتمادا على دلالة اقتران (أَقْنَى) بـ (أَغْنَى) جريا على تقابل التضاد.

الثاني: أن المراد من كلمة (أَقْنَى) في سورة النجم هو معنى أفقر، هذا هو المتبادر اعتمادا على دلالة التقابل الكلي بين (أَضْحَكَ) و(أَبْكَى)، و(أَمَاتَ)، و(وَأَحْيَا)، و(الذَّكَرَ)، و(الْأُنْثَى). وهذا من ألطف المقابلات في القرآن الكريم، لأنه يسري من التقابل الجلي بين (أَضْحَكَ) و(أَبْكَى)، و(أَمَاتَ)، و(وَأَحْيَا)، و(الذَّكَرَ)، و(الْأُنْثَى). إلى التقابل الخفي بين (أَغْنَى) و(أَقْنَى).

الثالث: أن تفسير كلمة (أَقْنَى) في سورة النجم بأفقر هو المتفق مع تفسير (أَقْنَى) بأرضى المروي عن ابن عباس، وتحقيقه كما قال الإمام الألوسي: "أنه جعل له قنية من الرضا، والطاعة، وذلك أعظم القنائين، والله تعالى در من قال:

هل هي إلا مدة وتنقضي ما يغلب الأيام إلا من رضى^(١)

"وقال ابن عباس: ﴿وَأَقْنَى﴾ قَنَع، والقناعة خير قُنْيَةٍ، والغنى عرض زائل، فَلِلَّهِ دَرٌّ ابن عباس^(٢).

الرابع: أن تفسير كلمة (أَقْنَى) في سورة النجم بأفقر هو المتفق مع نظائر هذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(٣)، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "ومعنى ﴿وَأَقْنَى﴾ جَعَلَ غَنِيًّا، أي: أعطى ما به الغنى، والغنى التمكن من الانتفاع بما يحب الانتفاع به، ويظهر أن معنى ﴿وَأَقْنَى﴾ ضد معنى ﴿أَغْنَى﴾ رعبا لنظائره التي زاوجت بين الضدين من قوله: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، و﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، ولذلك فسر ابن زيد

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: ٢٧، ص ٦٩.

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج: ٥، ص ٣٣٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٠.

والأخفش وسليمان التميمي بمعنى أرضى^(١).

وقال حقي: "أو معنى ﴿أَقْنَى﴾ أرضى، وتحقيقه جعل الرضى له قنية، والأوفق لما تقدمه من الآي المشتملة على مراعاة صنعة الطباقي أن يحمل على معنى أفقر على أن تكون الهمزة في أقنى للإزالة كما قاله سعدى المفتي، قال الجنيد قدس سره: أغنى قوما به، وأفقر قوما منه^(٢).

النموذج الرابع: المقابلة بين القانع والمتعرض للسؤال في قوله تعالى: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣)، ذكر المفسرون لكلمة (القَانِع) الواردة في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾^(٤) أقوالاً ترجع إلى معنيين متقابلين^(٥):

الأول: القانع مشتق من القناع والقناعة، فهو الذي يقنع بما عنده ولا يسأل الناس شيئاً، قال الراغب رحمه الله تعالى: "وقال بعضهم: أصل هذا لكلمة من القناع، وهو ما يغطي به الرأس، فقنع أي: لبس القناع ساتراً لفقره، كقوله: خفى أي: لبس الخفاء، وقنع إذا رفع قناعه كاشفاً رأسه بالسؤال^(٦)."

الثاني: القانع: السائل؛ مشتق من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، قال الراغب:

(١) التحرير والتنوير، ج: ٢٧، ص ١٤٩.

(٢) حقي، إسماعيل الروسي، تفسير روح البيان، المطبعة العثمانية، مديرتها محمد صائم بن عثمان بك، بدون رقم طبعة، ١٣٣٠هـ، ج: ٩، ص ٢٥٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٦.

(٥) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٥، ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن، ص ٥٣٤ - ٥٣٥. مادة (قنع).

"و(الْمُعْتَرِّ) وهو المعترض للسؤال، يقال: عره، يعره، واعترت بك حاجت، والعر، والعر، الجرب الذي يعر البدن أي يعترضه، ومنه قيل للمضرة معرة تشبيها بالعر الذي هو الجرب، قال تعالى: ﴿فَنُصِيبُكُمْ مِّنْهُمْ مَّعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) (٢). والذي يراه الباحث مقصودا من كلمة (القَانع) هو المعنى الأول، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن المراد من كلمة (القَانع) في سورة الحج هو المتعفف عن السؤال، هذا هو المتبادر اعتمادا على دلالة اقتران (القَانع) بـ (الْمُعْتَرِّ) جريا على تقابل التضاد، وهو اختيار الإمام الألوسي: "والذي اختاره من هذه الأقوال أولها"^(٣).

الثاني: أن تفسير (القَانع) بالمتعفف عن السؤال، متفق مع مذهب جمع من العلماء إلى أن الأضحية تُجزأ ثلاثة أجزاء: فثلث لصاحبها يأكله منها، وثلث يهديه لأصحابه، وثلث يتصدق به على الفقراء؛ فالهدية لأهل القناعة، والصدقة لأهل الاعتزاز^(٤).

الثالث: أن تفسير (القَانع) بالمتعفف عن السؤال، تفسير وجيه ويرجح أنه عطف ﴿الْمُعْتَرِّ﴾ على ﴿القَانع﴾ فدل العطف على المغايرة، ولو كانا في معنى واحد لما عطف عليه كما لم يعطف في قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٥).

النموذج الخامس: المقابلة بين الأمة المؤمنة والحرمة المشركة ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ مُُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص ٥٣٤ - ٥٣٥. مادة (قنع)

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: ١٧، ص ١٥٧.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي. تفسير القرآن العظيم، أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية، وعلى نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، تحقيق مصطفى السيد أحمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج: ١٠، ص ٦٨.

(٥) سورة الحج، الآية: ٢٨.

الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(١)، ذكر المفسرون لكلمة (الأمة) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾^(٢) قولين متقابلين:

الأول: أن الأمة بمعنى المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة.

الثاني: أن الأمة المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح^(٣).

والذي يراه الباحث صحيحاً من كلمة (الأمة) هو المعنى الأول، وهو الذي اختاره ابن الجوزي ونسبة لجمهور المفسرين، وذلك اعتماداً على دلالة التقابل بين (الأمة مؤمنة) و (الحرّة المشركة) أولاً، وثانياً: للتقابل بين (العبد المؤمن)، و (الحرّ المشرك)، قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ تنبيه على دناءة المشركات، وتحذير من تزوجهن، ومن الاغترار بما يكون للمشركة من حسب، أو جمال، أو مال، وهذه طرائق الإعجاب في المرأة المبالغ عليه بقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، وأن من لم يستطع تزوج حرة مؤمنة، فليتزوج أمة مؤمنة خير له من أن يتزوج حرة مشركة، فالأمة هنا هي المملوكة، والمشركة الحرّة بقرينة المقابلة بقوله: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾، فالكلام وارد مورد التناهي في تفضيل أقل أفراد هذا الصنف على أتم أفراد الصنف الآخر، فإذا كانت الأمة المؤمنة خيراً من كل مشركة، فالحرّة المؤمنة خير من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ج: ١، ص ٢٤٦.

المشركة بدلالة فحوى الخطاب التي يقتضيها السياق، ولظهور أنه لا معنى لتفضيل الأمة المؤمنة على الأمة المشركة، فإنه حاصل بدلالة فحوى الخطاب لا يشك فيه المخاطبون المؤمنون، ولقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فإن الإعجاب بالحرائر دون الإماء، وفي الأمة المؤمنة منافع دينية، وفي الحرة المشركة منافع دنيوية، ومعاني الدين خير من أعراض الدنيا المنافية للدين، فالمقصود منه بيان حكمة التحريم استثناساً^(١).

النموذج السادس: المقابلة بين الفلق والغسق في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {١} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ {٢} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ {٣}﴾^(٢)، ذكر المفسرون لكلمة (غَاسِقٍ) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾^(٣) خمسة أقوال:

الأول: أنه القمر، روت عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: (استعيذي بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب)، رواه الترمذي، والنسائي في كتابيهما^(٤).

الثاني: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودَّ، ومعنى (وَقَبَ) دخل في الكسوف.

الثالث: أنه النجم، روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الرابع: أنه الليل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والقرظي، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والزجاج. قال اللغويون: ومعنى (وَقَبَ) دخل في كل شيء فأظلم.

(١) التحرير والتنوير، ج: ٢، ص ٣٦١.

(٢) سورة الفلق، الآية: ١ - ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٤) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م، كتاب التفسير، باب ومن سورة المعوذتين، ج: ٥، ص ٣٨١. رقم الحديث: ٣٣٦٦، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني. والحديث إسناده حسن، رجاله ثقات عدا الحارث بن عبد الرحمن القرشي، وهو صدوق حسن الحديث.

و(الغسق) الظلمة.

الخامس: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام، والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد^(١).

والذي يراه الباحث أن معنى (غَاسِقٍ) هو الليل، وذلك للأسباب الآتية:
الأول: أن تفسير الغاسق بالليل هو المتبادر اعتمادا على دلالة التقابل تضادا بين الفلق والغسق، والظلمة في الآية الكريمة أنسب بالاستعاذة من الشر الذي في الليل، ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح، والنور، من شر غاسق الذي هو محل للظلمة، فناسب الوصف المستعاذ به للوصف المستعاذ منه^(٢).

الثاني: أن تفسير الغاسق بالليل هو المنسجم مع التفسير بالمأثور، وهو أصح طرق التفسير، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٣)، والحديث الذي أخرجه النسائي والترمذي عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لا ينافي هذا القول.

الثالث: أن تفسير الغاسق بالليل هو المتفق مع المشهور من لغة العرب، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأیضا فإن اللغة لا تساعد على هذا، فلا نعلم أحدا قال الغاسق القمر في حال خسوفه، وأيضا فإن الوقوب لا يقول أحد من أهل اللغة أنه الخسوف، وإنما هو الدخول من قولهم: وقیت العين إذا غارت، ومنه الوقب للثقب الذي يدخل فيه المحور، وتقول العرب: وقب، يقب، وقوبا إذا دخل"^(٤).

(١) تفسير روح البيان، ج: ١٠، ص ٥٤٢.

(٢) عروي، د محمد إقبال. دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، روافد فخر متعدد متجدد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٦٦ - ٦٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٢، ص ٤٣٤.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة

وفيه أمودجان:

النموذج الأول: المقابلة بين الكبائر والصغائر

النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وكسب القلوب

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة

النموذج الأول: المقابلة بين الكبائر والصغائر كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾^(١)، اختلف العلماء في تقسيم المعاصي إلى كبائر وصغائر، فذهب الجمهور إلى القول بإثبات تقسيم الذنوب إلى الكبائر، والصغائر، واختار فريق عدم انقسام المعاصي إلى الكبائر، والصغائر، قائلين: إن المعاصي كلها في حق الله تعالى كبائر، لأن المنظور إليه في المعاصي هو جلالة المعصي سبحانه وتعالى، لا حجم المعصية نفسها. والذي يراه الباحث مستقيماً هو القول بانقسام المعاصي إلى كبائر، وصغائر، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: دلّت إضافة ﴿كَبَائِرَ﴾ إلى ﴿مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ على أنّ المنهيات قسمان: كبائر، ودونها، وهي التي تسمى الصغائر.

الثاني: دل البناء الشرطي للآية الكريمة، على تقسيم المعاصي إلى كبائر، وصغائر، وبيانه: أنه علق على اجتناب الكبائر تكفير الصغائر، جرياً على أسلوب المقابلة.

الثالث: أن أسلوب التقابل بين كبائر الذنوب وصفاتها وارد في آيات تناظر آية سورة النساء، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى»^(١)، فسَمَّى الكبائر فواحشَ وسمى مقابلهما اللُّمَم، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "قُتِبَ بذلك أَنَّ المعاصي عند الله قسمان: معاص كبيرة فاحشة، ومعاص دون ذلك يكثر أن يُلَمَّ المؤمن بها، وأحسن ضبط الكبيرة قول إمام الحرمين: هي كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين وبضعف ديانتها، ومن السلف من قال: الذنوب كلّها سواء إن كانت عن عمد، وعن أبي إسحاق الإسفرائيني: أَنَّ الذنوب كلّها سواء مطلقاً، ونفى الصغائر، وهذان القولان واهيان لأنّ الأدلّة شاهدة بتقسيم الذنوب إلى قسمين، ولأنّ ما تشتمل عليه الذنوب من المفاسد متفاوت أيضاً، وفي الأحاديث الصحيحة إثبات نوع الكبائر وأكبر الكبائر، ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنّب الكبيرة تجنّباً شديداً، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترائها، ومنها أن ترك الكبائر يعتبر توبة من الصغائر، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقض حكم القاضي المتلبّس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها... فمن العجائب أن يقول قائل: إن الله لم يميّز الكبائر عن الصغائر ليكون ذلك زاجراً للناس عن الإقدام على كلّ ذنب، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، هكذا حكاه الفخر في التفسير، وقد تبين ذهول هذا القائل، وذهول الفخر عن ردّه، لأنّ الأشياء التي نظّروا بها ترجع إلى فضائل الأعمال التي لا يتعلّق بها تكليف؛ فإخفاؤها يقصد منه الترغيب في توخّي مظانّها ليعتد الناس من فعل الخير، ولكن إخفاء الأمر المكلف به إيقاع في الضلالة، فلا يقع ذلك من الشارع"^(٢).

النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وكسب القلوب في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير، ج: ٥، ص ٢٧.

اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ^(١)، ذكر المفسرون لكلمة (اللغو) الواردة في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾^(٢) أقوالاً ترجع إلى معنيين متقابلين^(٣):

الأول: اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار، فهو الكلام الذي لا يعتد به. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، يَعْنِي: الْكَلَامَ الَّذِي لَا يُفِيدُ شَيْئًا لِيَسْمَعُوا السَّامِعِينَ عَنْهُ، وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالإطلاق في اللغو، فحقيقتها لا إثم فيه، ولا كفارة، والمواخذة في الأيمان هي بعقوبة الآخرة في اليمين الغموس.

الثاني: اللغو كل كلام كان مذموماً، وباطلاً، فهو مأخوذ من قولهم لغا فلان في كلامه إذا قال قبحاً، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾^(٥)، يَعْنِي: كَلِمَةً فَاحِشَةً قَبِيحَةً، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾^(٦) عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٧)، يَعْنِي: الْكُفْرَ وَالْكَلامَ الْقَبِيحَ.

والذي يراه الباحث أن معنى (اللغو) هو الساقط من الكلام الذي لا يعتد به، وذلك لسببين:

الأول: أن تفسير اللغو بالسهو، والخطأ هو المتبادر اعتماداً على دلالة التقابل تضاداً

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٣) النكت والعيون، ج: ١، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الغاشية، الآية: ١١.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٢٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٥.

بين اللغو وكسب القلوب، قال الكفوي رحمه الله تعالى: "اللغو هو اسم لكلام لا فائدة فيه، وهو المراد في آية المائدة، وضد كسب القلب، وهو السهو كما في آية البقرة، بدليل التقابل في كل منهما"^(١)، فالعنى لا يؤاخذكم الله أصلاً بما لا قصد لكم فيه من الإيمان.

الثاني: أن تفسير اللغو بالسهو، والخطأ، هو المتوجه اعتماداً على التفسير بالمأثور، وبيانه توافق آية المائدة مع آية البقرة، من المؤاخذه على اليمين الغموس الباطلة، قال بكر الجصاص رحمه الله تعالى: "لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ أَبَانَ بِذَلِكَ أَنَّ لَعْوَ الْيَمِينِ غَيْرُ مَعْقُودٍ مِنْهَا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَعْقُودُ هُوَ اللَّغْوُ لَمَّا عَطَفَهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ فِي نَفْيِهِ الْمُؤَاخَذَةَ بِلَعْوِ الْيَمِينِ، وَإِثْبَاتِ الْكُفَّارَةِ فِي الْمَعْقُودَةِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ اللَّغْوَ لَمَّا كَانَ هُوَ الَّذِي لَا حُكْمَ لَهُ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْيَمِينُ الْمَعْقُودَةُ؛ لِأَنَّ الْمُؤَاخَذَةَ قَائِمَةً فِي الْمَعْقُودَةِ وَحُكْمُهَا ثَابِتٌ، فَبُطِلَ بِذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّغْوَ هُوَ الْيَمِينُ الْمَعْقُودَةُ، وَإِنَّ فِيهَا الْكُفَّارَةَ"^(٢).

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى: "بناءً على أن مقتضى هذه المؤاخذه بالغموس، لأنها من كسب القلب، وتلك تقتضي عدمها، لأن اللغو فيها خلاف المعقودة، وهي ما يحلف فيها على أمر في المستقبل أن يفعل ولا يفعل، لوقوعه في مقابلة قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾"^(٣)، فيتناول الغموس، وهو الحلف على أمر ماض متعمد الكذب فيه،

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق د عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، باب اللام، ص: ٧٩٨ - ٧٩٩.

(٢) الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، دار التاريخ العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢، ج: ٢، ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

ولغويته لعدم تحقق البر فيه الذي هو فائدة اليمين الشرعية، لأن الشافعي حمل ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ على كسب القلب من عقدت على كذا عزمت عليه، ولم يعكس لأن العقد يحمل يحتمل عقد القلب، ويحتمل ربط الشيء بالشيء، والكسب مفسر، ومن القواعد حمل الحمل على المفسر، وإذا حمل عليه شمل الغموس، وكان اللغو ما لا قصد فيه، لا خلاف المعقودة إذ لا معقودة، فتتحد الآيتان في المؤاخدة على الغموس وعدم المؤاخدة على اللغو^(١).

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يماثله

وفيه أئموذجان

النموذج الأول: المقابلة بين السيد والني وبين الحضور

النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وبين الإثم والكذب

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمقابلة الشيء بما يماثله

النموذج الأول: المقابلة بين السيد والني وبين الحضور كما في قوله تعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا

بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، ذكر المفسرون لكلمة

(حَصُورًا) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) أقوالاً

مردّها إلى معنيين متقابلين:

الأول: أنه كان عتيباً لا ماء له، وهذا قول ابن مسعود، وابن عباس، والضحاك.

الثاني: أنه كان لا يأتي النساء، مع تمكنه من القدرة على ذلك، وهو قول قتادة،

والحسن.

(١) روح المعاني، ج: ٢٥، ص ٣١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

والذي يراه الباحث حقا أن معنى (الحَصُور) هو القول الثاني القاضي بثبوت قدرة يحيى عليه الصلاة والسلام على إتيان النساء، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن تفسير (الحَصُور) بالقادر على إتيان النساء، هو المتبادر من السياق، لأنه سياق امتنان ومدح بكمال النعمة في وهب هذا الغلام عليه الصلاة والسلام.

الثاني: أن تفسير (الحَصُور) بالقادر على إتيان النساء، هو المتوجه اعتمادا على دلالة التقابل بين وصف السيادة من جهة، ومن وصف النبوة من جهة ثانية، وذلك بتوسيط وصف الحصور بين وصفين من صفات الكمال قطعاً، فوجب أن يكون وصف الحصور على منوال الثناء والمجد.

الثالث: أن تفسير (الحَصُور) بالعَيْن وهو العاجز عن إتيان النساء، تفسير منافي لمقام النبوة، إذ هو من العيوب المنفرة عند النساء على أقل تقدير، وأما ترويح هذا التفسير من باب التفسير المرفوع لصاحب المقام المرفوع فلا يصح، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى.

ولذلك نقل الحافظ ابن كثير عن القاضي عياض قوله: "اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿حَصُورًا﴾ ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوبا، أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حُذَّاقُ المفسرين، ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقیصة وعیب ولا تلیق بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وإنما معناه: أنه معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها كأنه حصر عنها، وقيل: مانعا نفسه من الشهوات. وقيل: ليست له شهوة في النساء، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها: إما بمجاهدة كعيسى، أو بكفاية من الله عز وجل، كيحيى، عليه الصلاة والسلام. ثم هي حق من أقدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء، وهي درجة نبينا محمد ﷺ، الذي لم يشغله كثرتن عن عبادة ربه، بل

زاده ذلك عبادة، بتحسينهن وقيامه عليهن، واكتسابه لهن، وهدايته إياهن. بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال: (حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ)^(١) هذا لفظه، والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حصوم ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشياهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم^(٢).

النموذج الثاني: المقابلة بين اللغو وبين الإثم والكذب كما في قوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعَفٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٍ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعَوًا وَلَا كَذَابًا﴾^(٤)، جاء في تفسير روح البيان: "نسزع الشيء جذبه من مقره، كنسزع القوس من كبدها، والتنازع والمنازعة المجاذبة، ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة، والمراد بالتنازع هنا التعاطي، والتداول على طريق التجاذب، يعني تجاذب الملاعبة لفرط السرور المحبة، وفيه نوع لذة اذ لا يتصور في اللجنة التنازع بمعنى التخاصم، والمعنى: يتعاطون في الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي، للمارديني، مطبعة مجلس دار المعارف العربية، حيدر آباد، الهند، ط ١، ١٣٥٣ هـ، كتاب جماع أبواب الترغيب في النكاح وغير ذلك، باب الرغبة في النكاح، ج: ٧، ص ٧٨. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، اللآلئ المنشورة في الأحاديث المشهورة المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشهورة، تحقيق ودراسة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، خرجه العراقي في اللآلئ المنشورة، ص ١٨١، رقم الحديث: ٢٦، من حديث أنس بن مالك بلفظ (حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة)، ولم يرد فيه لفظ ثلاثة، هكذا رواه النسائي والحاكم من حديث أنس.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج: ٣، ص ٥٧. والحديث إسناده متصل، رجاله ثقات، رجاله رجال الشيخين

(٣) سورة الطور، الآية: ٢٣.

(٤) سورة النبأ، الآية: ٣٥.

واشتياق، كما ينشأ عنه التعبير بالتنازع^(١)، وقد ذكر المفسرون لكلمة (اللغو) الواردة في قوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾^(٢) معنيين^(٣):

الأول: اللغو الكلام الذي لا يعتد به. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

الثاني: اللغو الكلام الباطل الفاحش، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾^(٥)، يعني: كلمة فاحشة قبيحة، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا﴾^(٦)، على هذا المعنى وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٧)، يعني: الكفر والكلام الفبيح.

والذي يراه الباحث أن معنى (اللغو) في الآيتين الكريميتين، أعني آية الطور، وآية النبا يتناول معنيه: الساقط من الكلام الذي لا يعتد به، والباطل الفاحش من القول وذلك لسببين:

الأول: أن تفسير اللغو بالكلام الساقط، والباطل الفاحش، هو المتبادر اعتماداً على دلالة التقابل تماثلاً بين اللغو وبين التأثيم والكذب قال الرازي رحمه الله تعالى: "في الآية سؤالان:

الأول: الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ إلى ماذا يعود؟ الجواب فيه قولان: الأول: أنها ترجع إلى الكأس، أي: لا يجري بينهم لغو في الكأس التي يشربونها، وذلك لأن أهل

(١) روح البيان، ج: ٩، ص ١٩٥.

(٢) سورة الطور، الآية: ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ج: ٣٠، ص ٢١ - ٢٢. روح المعاني، ج: ٢٧، ص ٣٤. مفاتيح الغيب، ج: ٥، ص ٢١٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الغاشية، الآية: ١١.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٢٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٥.

الشراب في الدنيا يتكلمون بالباطل، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتغير عقلهم، ولم يتكلموا بلغو والثاني: أن الكناية ترجع إلى الجنة، أي: لا يسمعون في الجنة شيئاً يكرهونه^(١).

الثاني: أن تفسير اللغو بالكلام الساقط، والباطل الفاحش، هو المتفق مع نظائرها من الآيات القرآنية الكريمة، قال الشنقيطي: "فخمر الآخرة لا تحمل شاربيها على الخبيث والهذيان، لأنها لا تؤثر في عقولهم بخلاف خمر الدنيا، فغنهم يشربوها سكروا وطاشت عقولهم، فتكلموا بالكلام الخبيث والهذيان، وكل ذلك من اللغو والتأثير: هو ما ينسب به فاعله إلى الإثم، فخمر الآخرة لا يأثم شاربها بشرها، لأنها مباحة له، فنعم بلذتها كما قال تعالى: ﴿وَأَنهَارٌ مِّنْ خَمَرٍ لَّدَے لِلشَّارِبِينَ﴾^(٢)، ولا تحمل شاربها على أن يفعل إثمًا بخلاف خمر الدنيا، فشاربها يأثم بشرها ويحمله السكر على الوقوع في المحرمات كالقتل والزنا والقذف، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من مخالفة خمر الآخرة لخمر الدنيا، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ بَيِّضَاءٍ لَّدَے لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي ليس فيها غول يغتال العقول، فيذهبها كخمر الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾: أي لا يسكرون، وكقوله تعالى: ﴿يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾^(٤)، وقوله ﴿لَا يُصَدَّعُونَ﴾ أي لا يصيبهم الصداع الذي هو وجع الرأس بسببها^(٥).

* * *

(١) مفاتيح الغيب، ج: ٣٠، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٤٥ - ٤٧.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ١٧ - ١٩.

(٥) أضواء البيان، ج: ٧، ص ٧٣٠ - ٧٣١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتم علينا نعمته بتمام هذا البحث، لنقف به على موضوع هو غاية في الدقة لمعرفة دور أسلوب المقابلة الريادي في الموازنة بين الأقوال التفسيرية، ويحسن بي وقد انتهت من هذه الدراسة أن أذكر أهم نتائجها.

وقد تمخضت الدراسة عن النتائج الآتية:

أولاً: أسلوب المقابلة هو أحد فنون البديع التي كثر ورودها في القرآن الكريم، فهو من أكثر المحسنات اللفظية والمعنوية أثراً في تحميل الأسلوب الكلامي، وإبراز المعاني في أحلى حلة، لأن أسلوب المقابلة يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، فلا يقف عند الألفاظ بل يتعداها إلى المعاني، وهو بذلك وسيلة إيضاح فريدة، تعرض بها الأشياء، أو الصفات، ثم تعرض ما يقابلها في المعاني، فلا شك أن الجمع بين الأشياء المتقابلة يضيف على الكلام حسناً وجمالاً، ويزيده رونقاً وبياناً، فالضد يظهر حسنه الضد.

ثانياً: يمتاز أسلوب المقابلة بتنشيط الفاعلية الإدراكية، وتداعي المعاني المتعاكسة، وتوسيع ملكة المقارنة، والاستنتاج، وإيقاظ الإحساس، وتأجيج العاطفة، فالتقابل يستفز الشعور من خلال تسليط الضوء على المفارقات.

ثالثاً: يأتي أسلوب المقابلة في القرآن الكريم بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، وقد يأتي بين اسم، وفعل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

رابعاً: امتاز أسلوب المقابلة في القرآن الكريم بمحيته ظاهراً وخفيل، ومن أطف المقابلات في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ {١١٨} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى {١١٩} سورة طه، الآية: ١١٨ - ١١٩.

خامسا: يرى علماء البلاغة أنه كلما كثر عدد المتقابلات كان أبلغ، شريطة أن لا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف، والتصنع.

سادسا: أثبت البحث أن أسلوب المقابلة في القرآن الكريم يأتي على اعتبارين الأول: بحسب الموضوع، وأقسامها بناء عليه ثلاثة: التضاد، والتغاير، والتماثل، الثاني: بحسب العدد، وأقسامها بناء عليه ستة: (أحادية، ثنائية، ثلاثية، رباعية، خماسية، سداسية).

هذا ما تيسر جمعه والدلالة عليه، وبالله تعالى التوفيق، وأسأل الله سبحانه حُسنَ القبول، وحُسنَ الختام، وآخرُ دعوايَ أن الحمد لله ربَّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الألوسي، محمود بن شكري أبو الثناء شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طبية، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ١٤٠٩هـ.
٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي، للمارديني، مطبعة مجلس دار المعارف العربية، حيدر آباد، الهند، ط ١، ١٣٥٣هـ.
٥. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م.
٦. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه، الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٧. ابن جزى، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه

- وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٦م.
٨. الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، دار التاريخ العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢.
٩. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١٠. حقي، إسماعيل البروسوي، تفسير روح البيان، المطبعة العثمانية، مديرتها محمد صائم بن عثمان بك، بدون رقم طبعة، ١٣٣٠هـ.
١١. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د زكريا عبد المجيد المنوفي، د أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
١٢. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٣. الراغب، الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ.
١٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١٥. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب

الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

١٦. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

١٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

١٨. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

١٩. عروي، د محمد إقبال. دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، روافد نهر متعدد متجدد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٢٠. ابن عطية، عبد الحق بن غالب أبو محمد الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق، الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق الحناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر.

٢١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

٢٢. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٢٣. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه، وفصله، وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٤. ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

٢٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمرو أبو الفداء القرشي. تفسير القرآن العظيم، أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية، وعلى نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، تحقيق مصطفى السيد أحمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٦. الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

٢٨. المجمع اللغوي، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات إحياء التراث،

مكتب الشروق.

٢٩. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة مطبعة مصطفى الباسي الحلبي، ط ١، ١٣٦٥هـ، ١٩٦٤م.

٣٠. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري الأفريقي، لسان العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر المعزية، ط ١، ١٣٠٣هـ.

الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

المواقع الالكترونية:

١. خليفة، د. أحمد عبد المجيد محمد، بين المقابلة والطباق في الآيات القرآنية، على

هذا الرابط: <http://motarjemarabi.blogfa.com/post/520>
